

### تحولات النقد الأدبي المعاصر

يذهب صلاح فضل في سياق شرحه للتحول من النقد الحديث إلى النقد المعاصر، إلى أن هذه المناهج السياقية قد تبلورت بتأثير من التيار الرومانسي ثم الواقعية، التي ظلت هي المسيطرة في الأدب كما في نقده، حتى مطلع القرن العشرين، عندما لاحت في الأفق بوادر علم آخر في الظهور، هو علم اللغة أو اللسانيات، الذي بدأ بالاستحواذ على معجم المصطلحات النقدية، وبدأت مفاهيمه تشيع في حقل الدراسات النقدية والأدبية، وبذلك تغير نسق المعرفة الأدبية فأعيد الاعتبار للنص باعتباره فعالية لغوية بالدرجة الأولى، لهذا فالولوج إليه يجب أن يكون عبر مستوياته اللغوية، وبالتالي فقد قامت اللغة بالدور الأكبر والأساسي المهيمن على ما سواها.<sup>i</sup> ويوضح صلاح فضل هذا التحول في النظرية النقدية عبر التحولات التاريخية للنظرية الأدبية، من خلال ثلاث مراحل أساسية، هي:

1- المرحلة التي شكلت فيها الفلسفة الوضعية مركز الثقل الموجه للنقد، وهي مرحلة هيمنة الرومانسية أدبيا،<sup>ii</sup> وقد تم في هذه المرحلة استعارة النظريات العلمية والفلسفية، ومحاولة تطبيقها على المعرفة النقدية، وقد أستفيد من نظرية تطور الأنواع لشارل داروين، التي أفضت إلى منهج ذو طبيعة تاريخية وبيوغرافية، مثلته تصورات الثلاثي الفرنسي: هيبوليت تين(Hippolyte Taine) وسانت بييف (Charles-Augustin Sainte-Beuve) وبرونتيير(Ferdinand Brunetière)، وقد أوحى فكرة التطور الداروينية بالمنهج التاريخي، وكذا بالمنهج الاجتماعي بتأثير من الفلسفة الماركسية والمنهج النفسي بتأثير من علم النفس الفرويدي.

2- المرحلة الثانية هي عندما أصبح التاريخ موجها للنقد الأدبي ويحتل مركز الثقل فيه.<sup>iii</sup> والتي تمخضت عن التصور اللانسوني (نسبة لغوستاف لانسون Gustave Lanson)، الذي اكتمل على يديه المنهج التاريخي الذي ينسب إليه عادة، وهو المنهج الذي عرف نهايته وأفوله مع تلميذ لانسون ريمون بيكار (Raymond Bécard) الذي دخل في نقاشات نقدية ومنهجية مع رولان بارث (Roland Barthes)، انتهت بتغليب كفة النقد الجديد الفرنسي، وخفوت منظومة المناهج السياقية، وقد اتخذ النقد الجديد مرجعيات جديدة غير المرجعية الوضعية والتاريخية، على رأسها المرجعية اللسانية.

3- تتمثل المرحلة الثالثة في انتقال اللغة لتصبح النموذج المهيمن على نظرية الأدب في هذا العصر،<sup>iv</sup> بالإضافة إلى هيمنة الشكلانية الروسية، المناهضة للنقد الاجتماعي للأدب، وكذا الشكلانية الأنجلو أمريكية أو النقد الجديد، المناهض للانطباعية والنقد التاريخي للأدب، وبجثهما في الشعرية والأدبية، أي البحث في العناصر الداخلية للنص عما يميزها كنص أدبي أو شعري، والتي اتخذت كمرجعية أساسية للنقد البيوي وما بعد البيوي.

يذهب أحمد يوسف إلى أن هذا الانتقال قد أدى إلى استبدال القراءة السياقية ذات النزعة الوضعية والتاريخية بمختلف مشاربها كالمناهج الاجتماعية الذي أطرته الفلسفة الماركسية، والمنهج النفسي الذي أطره علم النفس الفرويدي.. وصولاً إلى منظومة المناهج النسقية التي أعلنت انسداد أنظمة القراءة السياقية وترهل مشروعها النقدي بسبب تغييبها المستمر للنص جراء تغييبها المستمر للنص، ومن أبرز الاتجاهات التي عملت على تقويض الوعي النقدي السياقي نذكر: تراث الشكلانيين الروس، النقد الجديد الأنجلوسكسوني، البنيوية، الأسلوبية والسيمائية...<sup>v</sup> تتفق هذه المناهج في أنها اعتمدت القراءة النسقية التي استبدلت الخارج (السياق) بالداخل (النسق)، واستبدلت الشروح التاريخية والنفسية والاجتماعية بالتحليل المحيث والآني للنص، والذي يعتمد على الهدبنة أي تفكيك النص ومن ثم إعادة بنائه، كما استبدلت المعيارية بالوصفية، أي أنها لا تخضع النص لمعايير موجودة مسبقاً بل تخضع النص للتحليل الوصفي، وهو ما يفضي بها إلى نتائج نسبية وغير مطلقة، وبالتالي فقراءتها النقدية تعددية وليست واحدة أي أنها احتمال من بين عدة احتمالات أخرى.<sup>vi</sup>

جدير بالإشارة إلى أن المفهوم المؤسس للأدب ونقده بمختلف مناهجه هو النظرية أولاً والمنهج النقدي هو الذي يختبر توافق هذه النظرية مع مبادئها ويمارس فعاليته ليتم تداوله بعدها مع الواقع الإبداعي. بينما تمثل المنظومة الاصطلاحية الطرف الثالث في العملية المنهجية، فالنظرية والمنهج والمصطلح تمثل مجموع الأدوات التي يطبق بها المنهج النقدي، وهي خاضعة للتغيير من منهج لآخر.<sup>vii</sup> حيث يمكن الملاحظة بيسر كيف انتقلت المقاربات البنيوية إلى مصطلحي البنية والنسق، بعدما هيمن مصطلح الشعرية والأدبية في المقاربات الشكلانية، ومنها إلى مصطلح الأسلوب في الأسلوبية، ثم مصطلح العلامة في السيميائيات..

- موت المؤلف وموت الناقد<sup>viii</sup> تعتبر مقولة موت المؤلف الشهيرة، والتي أطلقها رولان بارت من بين أهم مقولات النقد الجديد، وقد قصد من خلالها بارت عزل النص عن صاحبه، ما يعني أن تناول النص في إطار النقد الجديد الذي بشر به رولان بارت بمعية زملائه، وبتأثير واضح من الشكلانيين الروس والنقاد الجدد الأنجلوسكسونيين، الذين دعوا إلى البحث عن أدبية النص دون ربطه بمؤلف النص أو بأي من العوامل المحيطة به. وبالتالي فرما بوعي منه أو دون وعي راح بارت يؤكد من خلال مقولته بموت المؤلف يعلن كذلك موت الناقد أيضاً، أي فقدان الناقد لمهمته الأساسية التقليدية المتمثلة في الحكم على النص وتقويمه، وهي المهمة التي بدأ يفقدها مع بدايات الحداثة في النقد، والتي فرضت تقاليد منهجية خاصة، تحاول أن تكون موضوعية أكثر وحيادية وبالتالي أكثر علمية، عبر توسل التحليل عوض التقويم، الذي ساد تقاليد النقد الانطباعي، وهذا بغية تقريب النقد من المعارف العلمية التي يفترض أنها لعبت دور المرجعية الأساسية لهذا النقد، وهو ما يمكن أن نستشفه من تعريف

ستانلي هايمن في كتابه: «النقد الأدبي ومدارسه الحديثة»، الحداثة النقدية قائلاً إنها: «استعمال منظم للتقنيات

غير الأدبية، ولضروب المعرفة - غير الأدبية أيضاً - في سبيل الحصول على بصيرة نافذة في الأدب». ix

حيث لم تكن ضروب المعرفة غير الأدبية سوى الفلسفة التي أثرت في المدارس الأدبية، ومختلف العلوم التي توسلها النقد كالتاريخ وعلم النفس والاجتماع وأثرت على مناهجه، لولا أن مثل هذه الدراسات النقدية تقبلت هذه المناهج على مضض، وبقيت وفية للمنهج الانطباعي والتأثري الذاتي القائم على الذوق في تطبيقاتهم النقدية،<sup>x</sup> وهو الأمر الذي مد في عمر الناقد، لكنه كان يحتضر، وجاءت مقولة بارث لتجهز على المؤلف والناقد معاً، وتحكم عليهما بالموت الرحيم، والمقصود بموت الناقد هو انسحابه وفسحه المجال لمحلل الخطاب، الذي يقدم تحليلاً نصياً دون أن برأي أو حكم تقويمي شخصي حول النص، بسبب التزامه بالتحليل من خلال آليات منهجية خاصة، يحددها المنهج مسبقاً، وهي سمة المقاربات النسقية ككل، ابتداءً من الشكلايين الذين بحثوا في أدبية النص، عبر تفكيكه وإعادة بنائه، دون تقويم أو إطلاق الأحكام، وهو المنحى نفسه الذي تبنته المقاربات البنيوية وما بعد البنيوية، بما في ذلك المقاربات السيميائية، ما يعني أن الحديث ليس عن نقد أسلوبي أو سيميائي، بقدر ما هو تحليل خطاب أسلوبي أو سيميائي.

#### - علاج النص مبرزا:

- 1- ما هي المراحل التي مرت بها النظرية النقدية في تحولاتها التاريخية بحسب تحول النظرية الأدبية، حسب صلاح فضل؟ وما هي مميزات ومرجعيات كل مرحلة؟
- 2- ما هي أهم الفروق بين النقد السياقي والنقد النسقي بحسب ما يذكره أحمد يوسف؟
- 3- ما المقصود بموت الناقد؟
- 4- استنتج مميزات النقد المعاصر مقارنة بالنقد الحديث.

---

i- ينظر صلاح فضل، في النقد الأدبي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2007، ص: 10

ii- المرجع نفسه، ص: 10

iii - ينظر المرجع نفسه، ص: 10

- المرجع نفسه، ص: 10iv

v - ينظر أحمد يوسف، القراءة النسقية: سلطة البنية ووهم المحاينة، ط1، منشورات الاختلاف، 2007، الجزائر،

ص: 30

---

- ينظر المرجع نفسه، ص: 30vi

- ينظر صلاح فضل، في النقد الأدبي، ص: 09vii

viii- يؤكد فخري صالح مترجم كتاب: موت الناقد، لرونان ماكدونالد، في مقدمة الترجمة أن دور الناقد الأكاديمي القائم على حكم القيمة قد تراجع دوره وتضاءل وضعفت صلته بجمهرة القراء في ظل مد النقد الثقافي، الذي يتصدر المشهد النقدي في المؤسسة الأكاديمية البريطانية وكذلك الأمريكية.. ينظر للمزيد: رونان ماكدونالد، موت الناقد، تر: فخري صالح، المركز القومي للترجمة، مصر، 2014. وهذا ما سنحاول إثباته على الدراسات النقدية ابتداء من النقد الجديد.

ix- ستانلي هايمن، النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، تر: إحسان عباس ومحمد نجم، ج1، مؤسسة فرنكلين للنشر، ص: 9

x - مزج غوستاف لانسون، صاحب المنهج التاريخي، بين النقد التاريخي والنقد التأثري، المعتمد على معيار الذوق. أما في النقد العربي فقد رفض محمد مندور علمنة ومنهجة النقد، ورغم إقراره بأهمية النقد التاريخي، لأنه يضع النص في سياقاته التاريخية، إلا أن الناقد لا يجب أن يكتفي بهذا، بل لابد أن يبرز موقفه التأثري من النص. وكذلك فعل طه حسين عندما تراجع في كتابه: تجديد نكري أبي العلاء، عن منهجه التاريخي الصارم القائل بالاحتمية التاريخية، والذي طبقه في كتابه: في الشعر الجاهلي، وهذا لحساب النقد التأثري الذاتي.